



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 25.11.93
Photo No. : 133

القدس في البال

اقترح الملك حسين تأليف "هيئة عربية اسلامية جلية" توكل اليها "رعاية شؤون المقدسات الاسلامية" يضيء احدى اهم الاشكاليات في السياسة العربية الراهنة. لا تعني بذلك ما يحمله الاقتراح من غمز من قناة العرش السعودي "خادم الحرمين الشريفين"، وان يكن العامل الهاشمي خبيراً في اللعب على اعصاب الحكم الوهابي الحساس بامتياز. حيال هذا الموضوع. ما نقصده يتعلق بالخرم الثالث، اي القدس، خصوصاً كيفية التعامل العربي مع المدينة المقدسة في ظل السلام العربي - الاسرائيلي المقبل لا محالة. والاشكالية التي يطرحها ضمناً اقتراح الملك حسين هي، تحديداً، الآتية: ما هو الخط الذي يجب ان ينتمجه العرب في تعاطيهم مع ما تبقى من فلسطين؟ وما هو تالياً، بالنظر الواجب انتهاجه حيال الاسرائيليين بعد السلام؟

عن السؤال الاخير، كان الجواب دوماً برفع شعار "رفض التطبيع". انه شعار صحيح بلا شك. يجسد رغبة محمودة في الممانعة ويعبر عن ديمومة بعض المشاعر القومية الايجابية. لكنه مجرد شعار. قد يصلح لتعبئة الرأي العام، وان لم يكن الامر مؤكداً. وقد يفيد في التقليل من اثار الاختراق الاسرائيلي المتوقع. الا انه يبدو، وسيبدو اكثر فأكثر، بعيداً كل البعد عن تعقيد الصراع العربي - الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التوقيع. وهو بعيد خصوصاً عن التشابك/التناقض الذي يميز العلاقات الاسرائيلية - الفلسطينية واستطراداً الاسرائيلية - العربية. لذلك، لا يمكن ان يكون مجرد "رفض التطبيع" جواباً عن التساؤل حول كيفية التعاطي مع اسرائيل لاسيما اذا بدأنا بطرح السؤال الاساسي الآخر: كيفية التعاطي مع فلسطين.

ليس ادلّ على ذلك من قضية القدس، كما رست بعد ان اتفق على تأجيل بحث هذا الموضوع الخلافى بين الاسرائيليين والفلسطينيين الى فترة لاحقة. وقضية القدس، كما يجب ان تطرح اليوم، لا يجوز اعتبارها مسألة فلسطينية بحتة، طالما ان احتمال تحول المدينة المقدسة عاصمة لدولة فلسطين صار متأخراً، في افضل الاحوال. فيانتظار ان تنهياً الظروف لهذين التحولين (تحول الحكم الذاتى دولة، وتحول القدس عاصمة لتلك الدولة)، صار لزاماً تحصين وضع القدس، او ما تبقى منها، عربياً. لا مكان هنا لحساسيات اقليمية. ولا نحسب اصلاً ان احداً من الفلسطينيين سيثير مثل هذه الحساسيات. فالجميع يعرف ان افضل وسيلة لحفظ حظوظ القدس في ان تتحول عاصمة لدولة فلسطين هي ان تبقى عربية، بل ان تبقى في الوجدان العربي كما كانت دائماً (؟) في البال.

اما اذا اتفق على هذا المبدأ، فيصبح واضحاً عجز شعار "رفض التطبيع" عن احراز اي تقدم في هذا الاتجاه. على العكس، قد يصبح ضرورياً، في هذا الموضوع تحديداً، ترك الشعار جانباً والخوض في تجربة تشابك لا تخلو من المغامرة. هذا ما يدعو اليه مثلاً أحد أتبه المفاوضات الفلسطينية قائلاً ان القدس يجب ان تفرق تحت سيل الحجاج العرب، مسلمين ومسيحيين، والسياح المسلمين من شتى الاقطار الآسيوية والافريقية، متى تم بالطبع انجاز الحكم الذاتى وسائر الاتفاقات العربية - الاسرائيلية.

المنطق نفسه ينطبق على الحكومات. ليس المطلوب منها تعجيل التطبيع. المطلوب هو ادخال القدس في حساباتها والعمل من اجل ابقائها، عملياً، وليس فقط في جدول اعمال القمم والمجالس، في الفلك العربي. وما اقتراح الملك حسين، بمعزل عن حساباته الخاصة، سوى مؤشر الى وجود قدرة متبقية عند بعض العرب على قبول الرهان.

سمير قصير